30 نوفمبر 2023م

الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري الزياني الودغيري الأنْزَجْمِيرِي التَوَاتِي

هشام عبد الوافي*

1. مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وأزواجه وذريته وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين. إن البحث في الأنساب ومعرفة المرء لأصول العائلة التي ينتمي إليها ليس مذموما في الشرع، فلقد صح عنه صلى الله عليه وسلم: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم." إنما المذموم الافتخار بذلك واحتقار أنساب الناس أو من لم يُعرف بنسب؛ إلا أن الإبحار في علم النسب الشريف ليس بالأمر الهين، بل يتطلب الدقة في التحقيق والبينة والبراهين والخضوع للأحكام والقيود التي لا تخرج عن مبادئ ديننا الحنيف، "فإن كنت ناقلا فالصحة أو مدعياً فالدليل،" والله لا يضيع أجر من أحسن عملا. وهذا ما دفعنا إلى البحث عن نسب جدنا المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري وإظهاره بإذن الله بعد اليقين، فشمرنا على ساعد الجد مستعينين بالله، آخذين بالأسباب والله يتولى فتح الأبواب.

إن أول ما قمنا به هو ضبط فروع وعائلات ذرية المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري بقصر أنزجمير بتوات –ولاية أدرار حاليا– وأعانني على إنجاز هذا العمل الشاق أبناء عمومتنا الشيخي الحاج الجيلالي، والشيخ سيدي الحاج محمد المكي وعبد الوافي أحمد بن الطيب. جمعنا خلال هذه المرحلة كل ما له صلة بتاريخ تلك الحقبة التي عاش فيها جدنا الجامع المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري وزوجه الشيخة عائشة وأبنائهما الشيوخ الثلاثة: الشيخ بلة والشيخ عبد الوافي والشيخ محمد، استنادا إلى ما تناقلته الأجيال من روايات صحيحة ووقائع سمعنها من أفواه رجال ثقات، فاستغرقنا الأمر شهورا حتى استطعنا بتوفيق الله توثيق شجرة النسب لذرية المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري التي تفرعت وانتشرت في ربوع أرض توات وخارجها انطلاقا من قصر أنزجمير الفوقاني، بدائرة زاوية كنتة، ولاية أدرار، دولة الجزائر.

ثم بعد ذلك عملنا على ربطها بالأصل؛ فبعد بحث مضن توصلنا إلى أن "التّنوري" اسم علم تنفرد به أسرة عريقة تنتمي إلى الفرقة الزيانية الودغيرية الإدريسية بقصر الوداغير بفجيج بالمملكة المغربية. وأرشدنا بعض الإخوة المغاربة الكرام، ومنهم عبد المجيد رابح، إلى الأستاذ المؤرخ محمد بوزيان بنعلي الذي

---

* هشام بن عبد القادر بن التوهامي بن محمد بن مهدي بن حسان بن الشيخ عبد الوافي بن الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري.
رقم الهاتف & الواتساب: 213657777887+ بريد إلكتروني: hiabdelouafi@gmail.com

ألفّ في أحد رجال ءال التّنوري كتابا عنوانه: "الحاج بوعلام التّنوري الفجيجي، خادم القرآن والوطن،" وتواصلنا مع الأخوين محمد وعبد الرحمن بني الحاج عبد القادر بن الحاج بوعلام التّنوري أيضا للسبب ذاته، بيد أننا لم نوفق يومها إلى إيجاد طرف الخيط لربط صلة المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري بالعائلة التّنورية الودغيرية، ولم نجد الجواب الكافي لأسئلتنا. أصابنا شيء من الفتور ساعتها وكاد أن يمسنا الملل، لكن سرعان ما جاء المدد الباطني، ودب في النفس التفاؤل وأيقنا أن باب الفرج يوشك أن يُفتح بسبب رؤى منامية سارة فيها إشارة للاستمرار، عادت بسفينة بحثنا إلى جادة الطريق وهبت على شراعها رياح المدد واليقين والتوفيق. فشحذنا الهمة وجددنا النية بعدها وعقدنا العزم أن ندمن قرع الأبواب متوكلين على الله متجردين بالكلية من رؤية الحول والقوة إلا لرب العزة خالق البرية.

وقد جعلها ربي حقا. فلم نلبث أن جمعتنا الأقدار بالأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري، المؤرخ والباحث في تراث وتاريخ الجهة الجنوبية الشرقية للمملكة المغربية، المراجع والمحقق لمخطوط "الدر النثير في من أشتهر وصح نسبه من شرفاء الوداغير بفجيج، فاس ومكناس،" والرئيس الشرفي "لمؤسسة سيدي عبد الرحمان الودغيري" ورئيس "جمعية فجيج للتراث وثقافة الواحات،" وكان حلقة الوصل بيننا المهندس عبد الإله سعيدي الودغيري. أبدى الأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري اهتمامه الشديد بالخبر وفتح ملفا خاصا للبحث والتحقيق في الموضوع وبذل وقته وجهده في سبيل ذلك رغم انشغالاته والتزاماته المختلفة، فكان سبّاقا للتواصل ومناقشة مستجداته وتفاصيله من ألفها إلى يائها. تعلمنا منه الشيء الكثير ووجدنا من خلال اتصالاتنا العديدة والمستمرة إجابات وافية كافية لأسئلة طالما شغلتنا وشوشت فكرنا خلال البحث عن نسب جدنا المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري، حيث أفادنا بكل التفاصيل المتعلقة بالشرفاء الوداغير الأدارسة وحدثنا عن تاريخهم وفروعهم الشريفة وعن الصلة التي تربط ءال التّنوري بهم. هذا وبعث لنا جزاه الله خيرا نسخة من وثيقة حبس أبناء المرحوم الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ زيان، وهم خمسة إخوة: عبد الرحمان، التّنوري، الصغير، بلقاسم، وزيّان، مخطوط على رق يعتني به ويحفظه في خزانته العامرة، ووثائق ذُكر فيها اسم الحاج أحمد بن التّنوري بتواريخ مختلفة بفجيج، ووثائق أخرى مهمة جمعها في أرشيفه تخص ءال التّنوري وفروع الأسرة، أنظر أصول هذه الوثائق في أرشيف الأستاذ المهندس العربي هلالي محفظة 71 ملف 173، وكلها كانت سببا في إيجاد الحلقة الضائعة التي تربط الأصل بالفرع، فاستوت سفينة البحث على أرض الحقيقة وزال الشك والغموض. وبتوفيق من الله تعالى وتوجيه وتوثيق من الأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري، مشكورا جزيل الشكر، وصلنا إلى نتيجة موثقة ومبنية على إثباتات وبراهين كما سيأتي معنا إن شاء الله قريبا بشكل مختصر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وله المنة من قبل ومن بعد. وجزى الله عنا خيرا كل من كان سببا أو شارك في اكتشاف وتوثيق فرع ءال التّنوري الزيانيين الودغيريين بقصر أنزجمير بتوات، بولاية أدرار، بالجزائر، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

2. المولد والنشأة:

ينحدر أصل الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري[1] من قصر الوداغير، بمنطقة فجيج شرق المملكة المغربية. وهو من أحفاد الشيخ التّنوري بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ زيان بن الشيخ عبد الرحمان بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ زيان بن الشيخ عبد الرحمان بن الشيخ زيان بن الشيخ محرز بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله الشريف بن الشيخ عبد الحميد بن الشيخ أمامة بن الشيخ علي بن الشيخ مناصر بن الشيخ عيسى بن الشيخ الأمير عبد الرحمن الودغيري[2] الإدريسي إلى آخر السلسلة بسندها المتصل بالدوحة النبوية الشريفة. وبناء على الحبس الجماعي لأبناء المرحوم الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ زيان جد التّنوريين المؤرخ في شعبان 985هـ – 1577م،[3] فإن الشيخ التّنوري لم يكن قد خلف بعد. فلربما كان شابا يافعا، تزوج حديثا أو بلغ سن الزواج وقصر عنه في ذلك الوقت، مما يعني أنه كان من أهل النصف الثاني من القرن العاشر والأول من الحادي عشر الهجريين.

ولم نعثر للمرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري على تاريخ دقيق لولادته. وبحسب المصادر والمخطوطات التي وقفنا عندها[4] علمنا أنه كان لا يزال مقيما بفجيج خلال العشرة الأولى من القرن الثاني عشر الهجري، ثم اختفى ذكره في الوثائق الفجيجة مباشرة بعد هذه الفترة، أي بعد العقد الأول من القرن الثاني عشر الهجري، ولم يعد له أثر بفجيج مذاك الحين. فبذلك يكون المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري قد عاش خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري والنصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري على أقصى تقدير. والله أعلم إن كان قد ترك ذرية من بعده في فجيج أم لا؟

3. هجرته من فجيج إلى توات:

لا يسعنا ضبط تاريخ مجيء المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري إلى منطقة توات، لكن يحتمل أنه دخل أرضها خلال العشرة الثانية من القرن الثاني عشر الهجري على صهوة فرسه عبر الساقية الحمراء، مغيرا المسار المباشر والطريق الرابط بين فجيج وتوات في ظروف ودواع مجهولة غامضة. فنزل بقصر أنزجمير بتوات،[5] الذي وضع حجره الأساس فيما مضى الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت.909هـ)،[6] فتزوج من الشيخة عائشة البرمكية[7] وأحيا معالمه. ولا شك أنه وجد البلدة خاوية على

عروشها وقتها[8] فأسس بها القصر الفوقاني، ليكون بذلك النواة الأولى بقصر أنزجمير منذ عصره إلى زمننا الراهن. عُرف المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري بالزهد والتصوف وكان له حظ من الفقه والعلم، ولم يكن ممن يحبون الظهور، ولعل أسبابا ما دفعته للتستر وإخفاء أمره إبان تلك الفترة بتوات[9]، لذا تولت زوجه الشيخة عائشة زمام الحكم آنذاك وتصدرت المشهد. والمشهور عندنا أن سلطتها امتدت من وادي اغرماملال إلى قصر اوغزير، وعرشها تربع في قلب قصر أنزجمير، شأنها شأن أختها الشيخة علو التي كانت تحكم بقصر زاجلو. فكان للشيخة عائشة جاه عظيم وسلطة ونفوذ عال، وكانت وزوجها ممن أنعم الله عليهم بوفرة المال وسعة الرزق[10] وممن أشتهر بالصلاح ومكارم الأخلاق والسيرة الطيبة العطرة في تلك الفترة كما يرويه الخَلَفُ عن السَلَفِ بتواتر إلى جيلنا الحالي.

4. أبناؤه وذريته بتوات:

توفي المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري بالقصر الفوقاني بأنزجمير، وضريحه معلوم بمقبرته الجديدة[11]، تاركا بتوات ذرية طيبة[12] والعقب منه في ثلاثة أبناء من أصلابهم تفرعت العديد من العائلات ولله الحمد، وهم على الترتيب:

1.4 الشيخ بلة: الابن البكر وأكثرهم خِلفة وهو الذي تولى السلطة بعد عجز والديه أو وفاتهما. وألقاب ذريته الان: "الشيخ بلة،" الذين ترعرعوا وسكنوا بالقصر الفوقاني بأنزجمير. ومنهم أيضا "المكي" و"لكبير" من أبناء التوهامي بن الشيخ بلة مؤسس قصبة القائد[13] التي كانت مركز السلطة والقيادة بتوات.

2.4 الشيخ عبد الوافي: الابن الأوسط، عاش وابنه حسان وحفيده مهدي بين جدران قصر أنزجمير الفوقاني. والعقب من مهدي في ولدين: محمد وجلول، إليهما تنسب ذرية الشيخ عبد الوافي بن المرحوم الحاج أحمد بن التّنوري اليوم بقصر المحفوظ، وفيهم الوفرة والعدد، وقصر اوغزير بتوات، واللقب المدني لذريته هو "عبد الوافي"[14]، غير متمسكين بكلمة الشيخ، ويشتهرون "بقبيلة بن مهدي."

3.4 الشيخ محمد: وهو أصغرهم، درس عند الشيخ سيدي امحمد الونقالي (ت.1175هـ) رفقة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن محمد العالم الزجلاوي (ت.1209هـ)[15]، فجمع بذلك بين مشيخة الزعامة ومشيخة العلم، وتشكل ذريته أكثر بقليل من ثلثي عائلات القصر الفوقاني بأنزجمير ولقبهم العائلي: "الشيخي" و"الشيخ."[16]

5. خاتمة:

بعدما رزق أبناء الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري البنين والحفدة، ضاق بهم القصر الفوقاني بأنزجمير.[17] فأسس الأنصار القصيبة المعروفة بقصبة المرابطين، والتوهامي بن الشيخ بلة أسس القصبة المعروفة بقصبة القايد. فكانت السلطة التنفيذية لأبناء المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري والسلطة التشريعية لأبناء المرحوم الشيخ عبد الرحمن الزجلاوي. أما أول من رحل من حفدته خارج قصر أنزجمير فهو محمد بن مهدي بن حسان بن الشيخ عبد الوافي. انتقل إلى قصر المحفوظ واشترى قصبة العكارمة واستدعى أخاه جلول بن مهدي الذي نزل أول الأمر بقصر اوغزير، فعاشا وأبنائهما تحت سقف واحد. ثم كان التوهامي بن محمد بن مهدي أول مؤسس لقصر المحفوظ الفوقاني أو ما يعرف "بالحدب،" وله الفضل في رسم حدود منازله وشوارعه الواسعة إلى الان. فما من أحد كان ينوي الخروج فيما مضى من المحفوظ التحتاني أو "القصر" إلا ويهرع إليه ليضع له الحجر الأساس لمنزله، فكان يخطو بقدميه ويحدد الأركان الأربعة ويضع لبِنات الأساس لباحة كل منزل ثم يأمر صاحبها بحفر بئر الماء والشروع في البناء. كان منصفا وحكما عدلا أعطى لكل العائلات قطعة أرض تأويه وذريته وتضمن له العيش في بحبوحة، والكل يشهد له بذلك إلى الآن. واليوم ولله الحمد تنتشر ذرية الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري من أبنائه الشيوخ الثلاثة في منطقة توات: بقصر أنزجمير وقصر المحفوظ وقصر اوغزير وولاية أدرار، ومن ذريته من انتقل خارج منطقة توات، فعلى سبيل المثال لا الحصر: ولاية تيارت، ولاية وهران، وولاية تلمسان وبعضهم هاجر إلى خارج دولة الجزائر. فاللهم ارحم السلف وبارك إلهي في الخَلَف.